

## الرومانسية في الشعر العربي

من الصعب تعريف أو تحديد حدود الحركة الرومانسية في الشعر العربي مثلها في ذلك مثل الحركة الكلاسيكية الجديدة العربية. ظهرت حركة الرومانسية العربية تدريجياً من رحم الكلاسيكية الجديدة خلال السنوات الأولى من القرن العشرين، واحتلت شعبية كبيرة في الحقبة ما بين الحربين العالميتين، ولكنه لا يوجد حد فاصل واضح بين الحركتين سواء كان الفاصل زمنياً أم أسلوبياً. واستمر كثير من الشعراء الذين يتميز شعرهم بموقف المدرسة الرومانسية، باستخدام الأشكال الشعرية التقليدية الرئيسة أو الخاصة، وكما رأينا في الفصل السابق، استمر شعر الكلاسيكية الجديدة خاصة في العراق إلى الثلث الأخير من القرن العشرين. ولطبيعة «المتولدة» للتحويل من الكلاسيكية الجديدة إلى الرومانسية واضح من استخدام كثير من النقاد مصطلح «ما قبل الرومانسية» لوصف شعراء يظهر شعرهم صفات تجمع بين الحركتين.

وبغض النظر عن التوضيحات، فإنه يبدو أن مصطلح الرومانسية متعارف عليه دولياً، ويستخدمه النقاد والمؤرخون الأدبيون لتعريف مجموعة من المواقف والأساليب الشعرية التي تعكس مثلتها عند الرومانسيين<sup>(1)</sup> الغربيين (على الرغم من أنها أحياناً لا تماثلها) والمواقف المعنية هنا يلخصها روبن أوستل Robin ostle كما يلي:

(أ) الرغبة في مخالفة المبادئ التقليدية الاجتماعية أو المؤسسية.  
(ب) الاحتفاء بمناظر الجمال الطبيعي والاتحاد العاطفي العميق مع هذه المناظر، مع الميل للنظر إلى المدن والقرى بوصفها مراكز للشر والفساد.  
(ج) استبطان عاطفي عميق، وميل إلى تعظيم عزلة الشاعر الذي ربما له مثل منزلة الرسول دون شرف النبوة، يجتنبه معاصروه. (د) إحساس قوي بثنائية أفلاطونية جديدة للجسد والروح. (هـ) الميل إلى كتابة شعر أثري وروحي أكثر منه جسدي<sup>(2)</sup>.

ولا غرو، فسيكون من الواضح مباشرة أن الصفات التي حددها أوستل ليست جميعها خاصة بالرومانسية. فالتقليد العربي للشاعر (للمصعوك) يعود إلى عصر الجاهلية والشعر العذري، خاصة في العصر الأموي الفني بأمثلة لشعراء يشتاقون إلى حبيباتهم اللواتي لا يستطيعون الوصول إليهن. وثبتت لأسباب عدة أن هذه المواقف خاصة مرغوبة من الشعراء العرب خلال مدة الحرب، وهي سنوات اتسمت على الصعيد السياسي بإحساس بالاحباط بسبب تحطم الآمال الوطنية بالاستقلال التي ولدت بعد سقوط الدولة العثمانية، إلا أن كثيرًا من أجزاء العالم العربي أصبح تحت سيطرة جديدة حلت محل العثمانيين، والسادة الجدد هم من القوى الغربية الأوروبية.

هناك عامل مهم في نشأة الحركة الرومانسية العربية، وهو وجود مجموعات مختلفة من شعراء «المهجر» الذين هاجروا من سوريا ولبنان إلى شمال أمريكا وجنوبها بدءًا من عام 1850م، وعلى الرغم من أن بعض كتاب المهجر يمكن تصنيفهم بلا شك على أنهم «مهاجرو اقتصاد»، ولكن دافعًا مهمًا لكثيرين كان الهرب من الاعتقال السياسي والديني.. ومن هذا المنطلق، فإنه واضح أن الغالبية العظمى من المهاجرين كانوا نصارى. وحركات الهجرة



تمثل ظاهرة موازية للهجرات الدورية من سوريا ولبنان إلى مصر، التي لها دور مهم في تطور الصحافة المصرية والمسرح، ومقارنة بحركات الهجرة إلى مصر، فإن المساهمة الرئيسة «لفكري» المهجر بالنسبة للأدب العربي بشكل عام تقع في مجال الشعر، ومن ثمَّ فإن هذه النقطة كافية لتلخيص بعض السمات الرئيسة لأدب المهجر، وهو موضوع يشكل جزءاً رئيساً لخلفية الحركة الرومانسية العربية، الذي أيضاً يمكن وصفه بأنه موضوع ساحر أدبياً واجتماعياً بحد ذاته.

### أدب المهجر

على الرغم من أن الأدب العربي كتبته المجتمعات المهاجرة في الأمريكتين، ولكن الأدب المعروف أكثر للعالم الناطق بالإنجليزية (والغرب عمومًا) هو الذي قدمه مهاجرو أمريكا الشمالية، وأشهر الأعمال هي أعمال جبران خليل جبران، الذي كتب كثيرًا من أعماله باللغة الإنجليزية بدلاً من العربية. وكتب الشعر المهم أيضًا في الأمريكتين خاصة الأرجنتين والبرازيل، وعلى الرغم من أن النشاط الأدبي للمجتمعات المهاجرة تطور في الأساس في وقت متقارب، ولكن يبدو أن أسلوب أمريكا الجنوبية في بعض الجوانب استمر وقتًا أطول.

وأدت، في القارتين، الصحف والدوريات والمجتمعات الأدبية المتنوعة جزءًا مهمًا في دعم الهوية للمجتمعات العربية المعنية. وأسست في شمال أمريكا الصحيفة العربية «كواكب أمريكا» في نيويورك عام 1892م، وسجل أكثر من 135 عنوانًا لصحف ودوريات ظهرت في الولايات المتحدة وكندا بين الأعوام من 1892 و1980م<sup>(3)</sup>. ومن بين أفضل هذه المنشورات كانت الفنون التي لم تستمر مدة طويلة نسبيًا، والتي أسسها نسيب عريضة، وظهرت بين



1913 - 1918م، وخدمت إنتاج كتاب مثل ميخائيل نعيمة، وأمين الريحاني، وإيليا أبو ماضي، وأيضاً جبران خليل جبران. وأسس عبد المسيح حداد صحيفة «السائح» التي استمرت من عام 1912 حتى عام 1957م، وظهرت أول صحيفة عربية في جنوب أمريكا «الفيحاء» في مدينة ساوبولو في عام 1895م، وسجل منذ هذا التاريخ حتى عام 1980م ما يربو على 127 عنواناً لصحف ودوريات في مدينة ساوبولو<sup>(4)</sup>، إضافة إلى نشر كثير من الكتب المهمة التي نشرت بالعربية في القارتين بدءاً من عام 1895م، ويشمل ذلك أعمالاً لجبران وأمين الريحاني وإيليا أبو ماضي وآخرين.

وأسس أول صالون أدبي في المهجر «رواق المعري» في جنوب أمريكا عام 1900م، إلا أن مدينة نيويورك هي الأهم، ليس فقط لكونها مركز نشر رئيساً للأعمال العربية في شمال أمريكا، ولكن أيضاً لكونها مقراً لأهم وسط أدبي «الرابطة القلمية» (العربية)، الذي جمع شعراء وكتّاباً مثل جبران والريحاني وأبي ماضي وميخائيل ونسيب عريضة، بدءاً من عام 1916م. ومع أن الاسم استخدم مفرقاً خلال السنوات الأولى اللاحقة لتأسيسه، لكن الاجتماع المؤسسي الرسمي لهذه المجموعة لم يتم إلا في إبريل 1920م. وبناء على هيكله المجموعة، فإن الأعضاء يقسمون إلى ثلاثة أقسام: «رعاة» وهم الذين يدعمون المجموعة. «مراسلون» وهم الشعراء والكتاب خارج مدينة نيويورك. «العاملون» وهم الشعراء في مدينة نيويورك. وعلى الرغم من أن طموح المجموعة في النشر والترجمة لم يصل إلى المطلوب، لكنها استمرت حتى بدايات ثلاثينيات القرن العشرين، حين توقفت بموت جبران عام 1931م وعودة ميخائيل إلى لبنان في السنة اللاحقة. والمجموعات الأدبية التي استمرت في أداء دور جزئي في حياة المهجر الأدبية إلى ما بعد الحرب العالمية



الثانية، تشمل «العصبة الأندلسية»، وأسست عام 1933م في مدينة ساوبولو التي نشرت صحيفة أدبية مهمة هي «العصبة».

من الصعب المبالغة في أهمية مساهمة كُتّاب المهجر في تطور الشعر العربي الحديث، حيث كانوا بمعزل عن كثير من المواقف التقليدية للشرق الأوسط تجاه الأدب، وهذا الانعزال كان نتيجة للبعد الجغرافي، وأيضًا نشأتهم النصرانية، واطلع كتاب المهجر مباشرة على إنتاج الكتاب والشعراء الغربيين المتراوح بين الرومانسيين الأوروبيين والشعراء الأمريكيين المعاصرين مثل والت ويطمان. ويمكن رؤية نتيجة ذلك في تطور أشكال مقطوعات شعرية جديدة ترفض تقاليد العروض الشعرية العربية من القرون الوسطى، وأيضًا في التحول الجذري للغة، والاتجاه إلى لغة أبسط وكلمات مقبولة أقرب إلى اللغة المتداولة يوميًا، التي يمكن أن تخدم بوصفها وسيلة للتعبير عن النظرة الشخصية والمشاعر الفردية. وكان كتاب المهجر روادًا في محاولاتهم ردم الهوة بين النثر والشعر، من خلال تطوير أنواع متعددة من «الشعر المنثور»<sup>(5)</sup>، وهذه الجهود لم تكن فقط من إلهام النماذج الغربية، ولكن أيضًا الترجمات العربية للإنجيل وأدب الطقوس النصرانية.

يمنعنا ضيق المجال هنا من البحث المستفيض عن كتاب المهجر المهمين، ونكتفي بقلة من أشهر الكتاب. اكتسب اسم جبران (1931 - 1883م) من بين كتاب المهجر في شمال أمريكا مكانة مقاربة للمعبود في بعض الأوساط الغربية، وبشكل كبير من خلال كتابه الرسول وأعماله الأخرى المشابهة، التي محورها إعادة التجسد وهجرة الروح الإنسانية. وهذا الكتاب الذي كتب بالإنجليزية<sup>(6)</sup>، قيل عنه، قد لا يكون حقيقة: إنه «أكثر كتاب مقروء في القرن العشرين»<sup>(7)</sup>. على أي حال، ولد جبران في بشيري بلبنان، وهاجر إلى



الولايات المتحدة مع والدته وأفراد عائلته عام 1895م، وبقي هناك معظم حياته، تخللها زيارات قليلة إلى بلده الأم لبنان ومدة في باريس بين عامي 1908 و1910م، وهناك تعرّف أعمال نيته، التي تركت انطباعاً كبيراً لديه. وتوفيت والدته وأخته وابن زوجها والدته بمرض السل عامي 1902 - 1903م. اضطر جبران في البداية إلى أن يعيش على النقود التي تجنيها أخته الأخرى ماريان من الخياطة حتى عام 1907م حين وجد رعاية من ماري هاسكيل، مالكة مدرسة فتيات خاصة، التي أعجبت برسمه كما أعجبت بكتابته، وشجعتة على أن يذهب إلى باريس لممارسة الفن الحديث.

من الصعب الوصول إلى تقييم دقيق لمساهمة جبران في تطور الأدب العربي الحديث، ليس فقط لأن معظم أعماله كتبت باللغة الإنجليزية، ولكن النظر إليه «بوصفه معبوداً» في بعض الأوساط الغربية كان أحياناً وراء انحراف الحكم النقدي عليه. وتفسد معظم أعماله في بعض الأحيان عاطفة صيبانية، ولكنه بلا شك أدى دوراً مهماً، وبالتأكيد حاسماً، في تزويد القارئ العربي بالأفكار والمثاليات الرومانسية، وإن جبران كان مبتكراً حقيقياً (على الرغم من أنه ليس على وتيرة واحدة)، وعلى الرغم من أنه من المغري أن يعامل على أنه شخص هامشي، لكن الحقيقة أنه كان على اتصال وثيق، على الرغم من العزلة الجغرافية مع أعضاء من المؤسسة الأدبية العربية في الشرق الأوسط، ليس أقلها مراسلاته الغزلية الممتدة مع الشاعرة مي زيادة.

وإذا بدا أن شهرة جبران، وإن كانت سيئة أحياناً، مضمونة في الغرب أكثر من الشرق، فإن عكس ذلك ينطبق على زميله المقرب وكاتب السير ميخائيل نعيمة (1889 - 1989م). ولتدريب وعمل نعيمة المبكر أهمية كبيرة في مجال نقل الأفكار الغربية إلى مجتمع الشرق الأوسط: بعد أن أتم الدراسة



في المدرسة الروسية بالناصره أرسل إلى دوسيان سيمناري في بلوتوفا بأوكرانيا، حيث أتمَّ بأعمال تولستوي والكتاب الروسيين الآخرين، وتولد لديه إعجاب بأفكار تولستوي الاجتماعية. وفي المدرسة كان رفيقه شاعرًا، سيصبح مهجرًا فيما بعد، نسيب عريضة (1889 - 1946م)، وهو الناشر المستقبلي لصحيفة «الفنون» في نيويورك. وأسست العلاقة بين الاثنين أحد الأسس لإقامة «الرابطة القلمية» عام 1920م. وهاجر إلى الولايات المتحدة عام 1911م، وبعد أن حصل على درجة في القانون من جامعة واشنطن بسياتل، أُجبر على الانضمام إلى الجيش الأمريكي، ووصل إلى الخطوط الأمامية في فرنسا إلى ما قبل هدنة 11 نوفمبر عام 1918م بأيام عدة. وعمل نحو عقد من الزمن مندوب مبيعات متجولاً، وعاد إلى لبنان عام 1932م بعد وفاة جبران بعام، وأمضى بقية حياته في الكتابة.

كان ميخائيل نعيمة كاتبًا غزير الإنتاج، كتب أكثر من ثلاثين كتابًا ما بين الشعر والنثر والمسرح والسير وسيرته الذاتية ومقالات ونقد أدبي. ونظر بعضهم إلى كتابه الصريح الذي كتبه سيرة ذاتية لحياة جبران<sup>(8)</sup>، الذي استخدم فيه أسلوب السيرة الرومانسية على أنه هجوم على صديقه، وسيرته الذاتية التي أسماها «سبعون»<sup>(9)</sup>، كتاب ممتع، ليس أقلها لوصف سنواته الأولى بسكنتا والناصره وبولتفا. وتستند شهرة ميخائيل في معظمها على نقده الأدبي، وبشكل خاص كتابه «الغربال» (1923م)، الذي جمع فيه مقالاته التي انتقد فيها علم العروض العربي التقليدي؛ لتقييده التعبير الحر عن الشاعر، الذي يرى أنه جوهر الشعر الحديث. ويمكن اعتبار هذا العمل أحد أهم الأحكام للقيم الشعرية المؤسسة للشعر المهجري والعربي الرومانسي بشكل عام. ومن الغريب أنه كان مُقلِّدًا شعريًا، وظهرت قصائد

في ديوان صغير بعنوان «همس الجنون» عام 1943م، ولكنه سريعاً ما اشتهر بمساهمته المميزة في الشعر الحديث. ربح كثيرون بقصيدته «أخي» بشكل خاص بوصفها مثلاً لأسلوب شعري جديد<sup>(10)</sup>. وعمل النقاد مثل الناقد المصري محمد مندور<sup>(11)</sup> على نشر أفكار نعيمة وزملائه، التي سرعان ما انتشرت سريعاً في العالم العربي.

### ما قبل الرومانسيين

إذا كانت تجارب كتاب المهجر قد قدمت محرّكاً لنمو الحركة العربية الرومانسية، فإن ذلك كان ممكناً بوضوح؛ فقط لأن المشهد الجديد كان - بشكل ما - يستجيب لحاجة الشعراء في الشرق الأوسط ذاته، الذين بدأ لهم أن افتراضات الكلاسيكية الجديدة أصبحت قديمة وخارج إطار الزمن. وليست المرة الأولى، التي يؤدي فيها مهاجر لبناني إلى مصر دوراً رئيساً في إشعال تحول في المواقف الأدبية. وكما هي الحال في معظم التطورات الأدبية كان التحول تدريجياً وليس سريعاً، وهي سمة مهدت لاستخدام مصطلح «ما قبل الرومانسيين»، الذي يطلق على الكتاب الذين تكشف أعمالهم عن صفات من كلتا الحركتين.

وأول هؤلاء «ما قبل الرومانسيين» هو خليل مطران (1872 - 1949م)، ولد خليل في بعلبك، وتعلم في معهد كاثوليكي في بيروت. ومثل كثير من أبناء وطنه انخرط في نشاط سياسي معادٍ للعثمانيين، ما أدى إلى هربه من وطنه، حيث ذهب إلى باريس التي وجد بها في البداية جنة، وطوّر هناك معرفته بالأدب الفرنسي. واستقر عام 1902م في مصر، حيث بقي هناك حتى وفاته ولقب «بشاعر القطرين»، ومثل كثير من معاصريه كان رجلاً متعدد الجوانب،



فهو ناشط ليس فقط شاعرًا، ولكن أيضًا في مجال الصحافة والتجارة وكتابة الشعر، وترجم أعمالاً عدة للعربية، بما في ذلك عدد من مسرحيات شكسبير. اشتمل أول ديوان منشور لمطران «ديوان الخليل» (1908م) على مقدمة، جهد فيها على أن يبعد نفسه عن الأفكار العربية التقليدية عن الشعر، وذلك بطرحه تركيزًا على الوحدة البنائية للقصيدة، وعلى أولوية خيال الفنان الفردي. وتتفاوت كثيرًا مدى وجود هذه المبادئ في شعره. ويحتوي الجزء الأول من الديوان على قصائد عدة تبدو كأنها تعكس مواقف الرومانسيين الغربيين في استبطانهم وتقمصهم محيط الشاعر الطبيعي. واستمر تقليد الكلاسيكية الجديدة في استخدام الشعر وسيلةً للدعاية السياسية، عادة ضد الإمبريالية، في شعره. وبمرور الزمن تزايد ظهور الجوانب التقليدية الكلاسيكية الجديدة في موهبته الشعرية، وأصبحت مسيطرة عليه. وأيًا كان السبب، فشل شعره اللاحق<sup>(12)</sup> في تقديم تطوير واضح، كما وعد في الجزء الأول من الديوان وترك ذلك للأخريين لبناء القيم التي رسمها في «بيانته» المبكر، وطور أكثر الاتجاهات الرومانسية التي أشار إليها في قصائده الأولى. عند هذه النقطة نرى بروز ظاهرة في مصر تقابل المجموعات الأدبية في المهجر، ظهور مجموعات من الشعراء، عادة يتركزون عند دورية أدبية، مشكلين تركيزًا لتطور اتجاهات معينة. وأولى هذه المجموعات هي التي تعرف بجماعة «الديوان»، التي عاشت فترة قصيرة، وكانت حدثًا عاصفًا، وتركزت حول ثلاثة رجال، عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني (عبد الرحمن شكري (1886 - 1958م)). وأدى الاثنان الأولان دورًا قياديًا في تطور أشكال النثر العربي في مصر، وسوف نتحدث عنهما في الفصل السابع من هذا الكتاب. وعبد الرحمن شكري هو الوحيد الذي يُذكر شاعرًا في



المقام الأول الآن. ولد شكري في بور سعيد، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في الإسكندرية، ومثل المازني كان طالبًا في مدرسة المعلمين العليا بالقاهرة. ونشر أول مجموعة شعرية له عام 1909م، وكان لثلاث سنوات التي قضاها في إنجلترا بين أعوام 1909م و1912م، دارسًا التاريخ والإنجليزية في جامعة شيفلد، تأثير صياغي مميز في شعره. وهناك حصل على مدى واسع من المعرفة بالشعر الإنجليزي والتقاليد الإنجليزية للنقد الأدبي، ونما لديه ميل للشعر الإنجليزي للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وتأثير ذلك واضح ليس فقط في شعره المتأخر، ولكن أيضًا في مقالاته ونقده الأدبي. ويمكن تتبع كثير من أفكاره وممارسته الشعرية مباشرة إلى شعراء من التقليد الإنجليزي مثل ووردزورث Wordsworth وكيثس Keats وإلى نقاد مثل هازلت Hazlitt وكوليرج Coleridge، وتظهر في أعماله كثير من السمات «الكلاسيكية» الرومانسية، كما وصف ذلك روبن أوستل<sup>(13)</sup> Robin ostle: ويشمل ذلك الإصرار على الاستخدام المتعسف للمشاعر، والتوتر بين الجوانب الجسدية والروحية للحب والكراهة، وفكرة المكان المميز للشاعر. ونشر ديوانه في سبعة أجزاء بين الأعوام 1909 و1919م، وظهرت قصائده اللاحقة في دوريات، ونشرت أعماله كاملة بعد وفاته في الإسكندرية عام 1960م.

وكان شكري بطبعه مختلفًا جدًا عن العقاد والمازني، العضوين الآخرين في جماعة الديوان، ولم يبدِ حماسًا كبيرًا للحياة العامة. بعد عودته من إنجلترا فضّل أن يعمل مدرسًا وموظفًا في وزارة التعليم، وعلى الرغم من أن صداقته مع العقاد والمازني بدأت قبل سفره إلى إنجلترا عام 1909م، ولكن عملهم معًا لم يثمر إلا بعد عودته من إنجلترا. وبالتأكيد، فإن اسم «جماعة الديوان» لم يظهر إلا في عشرينيات القرن العشرين، وبالطبع تساءل النقاد



عن مدى مناسبة هذا العنوان؟ اجتمع الرجال الثلاثة في البداية ليتقاسموا اهتمامهم بالشعر والنقد الأدبي، وبدا أن تشاركتهم واعد، إلا أن نقاشًا حادًا انفجر حين قام شكري بلفت الأنظار إلى «سرققات» المازني، وفي عام 1921م نشر العقاد والمازني عمليهما المحتوي على بذور نقدية بعنوان «الديوان في النقد والأدب»، الذي اشتمل على هجوم عنيف على شكري، وأصبح تفرق الجماعة أمرًا لا مفر منه. وعبر المازني لاحقًا عن أسفه من الهجوم على زميله السابق، وتحدث عن فضله عليه.

بالنسبة إلى الإنتاج الشعري فإن شكري يفوقهما شهرة وإنتاجًا، ظهر ديوان المازني في جزأين عامي 1914 و1917م على التوالي، كما نشر عام 1915م دراسة لشعر حافظ إبراهيم، ولكنه لاحقًا كرس معظم نشاطه الأدبي للكتابة النثرية، بما في ذلك مساهمة مهمة في تطور الرواية المصرية من خلال أعمال مثل إبراهيم الكاتب (1931م)، وبالنسبة للعقاد فإنه استمر في كتابة دواوين شعرية طول مدة عمله الطويل، بدأ بـ «يقظة الصباح» (1916م) وعلى سبيل المثال، له «هدية الكروان» (1933م)، و«عابر سبيل» (1937م)، و«أعاصير مغرب» (1942م)، وكتب بحثًا طويلًا عن الشاعر العربي الكلاسيكي ابن الرومي، الذي كان يكنّ له إعجابًا خاصًا. ولم يصل جميع شعر العقاد إلى المستوى الذي وصفه في أحكامه النقدية. وعمومًا، فإنه من العدل القول: إن أهمية جماعة الديوان تتبع من أحكامهم النقدية أكثر منها من شعرهم. وركزت هذه الأحكام بعض الوقت على رفض الماضي القريب بناء على جدل معظمه شخصي - ليس أقلها - مهاجمة العقاد شعر الكلاسيكية الجديدة عند أحمد شوقي؛ لعدم وجود الوحدة الشعرية في نظمه. وعرف عن جماعة الديوان أخذها أفكارًا من الأدب الغربي ومن الشعراء والكتاب الإنجليز



وليس الفرنسيين: كان الثلاثة على معرفة بكتاب الجراف Palgrave ( الخزنة الذهبية ) The Golden Treasury ، وكان مصدر إلهامهم الشعراء الإنجليز من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وأيضًا الشعراء العباسيون.

تردد صدى منهج «جماعة الديوان» المصرية في مناقشة مسائل مثل: الوحدة الشعرية وتأكيدهم على أهمية تجربة الشاعر في أماكن أخرى من العالم العربي. على سبيل المثال، في أعمال الشاعر اللبناني بشارة عبد الله الخوري (1890 - 1968م) المعروف باسمه القلمي الأخطل الصغير، وهو اسم اتخذه مبكرًا رمزًا للقومية العربية<sup>(15)</sup>. وكما لاحظنا في الفصل السابق نُشر معظم شعر بشارة الخوري في وقت متأخر من بدء نظمه (ديوانه الأول «الهوى والشباب» ظهر عام 1952م)، ومن ثمَّ بدأ شعره مفارقة تاريخية في إطار التطورات اللاحقة، إلا أن كثيرًا من النقاد لمس تأثيره في شعراء المدرسة الرومانسية، ويستحق شعره، الذي يحتوي على عدد من القصائد التي استخدم فيها قالب الموشحات الأندلسية أن يُعرف بشكل أفضل.

وإذا كانت «جماعة الديوان» قد وضعت الأسس لتحول جذري عن افتراضات وأسلوب الكلاسيكيين الجدد، فإنه أصبح على جماعة أخرى «جماعة أبوللو» أن تحمل أفكارهم، وأن تؤسس الرومانسية بوصفها اتجاهًا شعريًا مسيطرًا في مدة الحرب. كان مقر جماعة أبوللو مصر مثل جماعة الديوان، ولكنهم خلافًا للجماعة السابقة التي تكونت من ثلاثة أشخاص فقط. كانت أبوللو «شاملة» في مشهدها الأدبي ومعانقة منهجيات وأساليب شعرية متعددة، وأيضًا جنسيات مختلفة شاملة شعراء من تونس والسودان والعراق والمهجر، ومن مصر ذاتها.



ومثل كثير من الجمعيات الأدبية في المهجر، تتركز جماعة أبوللو حول دورية تدعى أبوللو، وأسس الجماعة والمجلة شخص واحد هو أحمد زكي أبو شادي (1892م-1955م). واستخدام اسم الإله الإغريقي أبوللو، لا يرتبط فقط بالجمال والفن، ولكن أيضًا بالفلسفة والتجليات الأخرى لحضارة عليا، كان رمزًا لمجموعة بحثت عن قصد ليس فقط عن رابط مع الحضارات الكلاسيكية للغرب، ولكن أيضًا تبنت منهجًا مدنيًا بقوة للكتابة والفن المعاصر. وبالتأكيد، بهذا المعنى، ربما تُعدُّ جماعة أبوللو مساهمة في النقاش المعاصر المتعالي بين المفكرين المصريين عن طبيعة الحضارة المصرية، وهو نقاش أعلن اتجاهًا «فرعونيًا» جادل فيه بقوة توفيق الحكيم<sup>(16)</sup> ضد وجهة نظر «البحر المتوسط» التي اقترحها طه حسين في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» (1938م) وغيره من الأعمال<sup>(17)</sup>.

أيًا كان، فإن مساهمة أبي شادي في تطور الشعر العربي الحديث وفي الحركة الرومانسية بشكل خاص مؤكدة في هذا المجال من خلال إنتاجه الشعري الغزير، ومجلته الشهيرة أبوللو التي أسسها، ويقوم بتحريرها ودعمها ماليًا. ولد أبو شادي في القاهرة، وأمضى عشر سنوات في إنجلترا بين عامي 1921 و1922م درسًا للطب في لندن، وتخصص في علم البكتيريا، وحصل في الوقت نفسه (مثل عبدالرحمن شكري قبله) على معرفة واسعة في الأدب الإنجليزي. وحين عاد إلى مصر جمع بين اهتماماته الأدبية وعمله العلمي المميز، الذي توج في منصبه أستاذًا في علم البكتيريا في جامعة الإسكندرية عام 1942م، وإضافة إلى اهتماماته العلمية فإنه كان رسامًا هاويًا متحمسًا ومربيًا للنحل.



وشعر أبي شادي ليس على وتيرة واحدة، وتتفاوت جودته؛ لذلك من غير المستغرب أنه نشر تسعة عشر مجلدًا شعريًا، وست «مسرحيات شعرية» أو «أوبريتًا»، وترجمات ونقدًا أدبيًا، ولكنه اشتهر بشعره عن الطبيعة والحب التي تعرض السمات الرومانسية التي لخصها أوستل ostle سابقًا، فتبدو لديه الرغبة في ترجمة التجربة الإنسانية كاملة إلى الشعر، إلا أن موهبته، على الرغم من ضخامتها، لم تكن بقدر هذه المهمة - وليس أقله، الإشارة إلى أن تعليمه كان في معظمه في إنجلترا، ويفتقر إلى تأسيس في اللغة العربية والإرث الأدبي. وكان شاعرًا مبتكرًا ومجددًا ليس فقط في موضوعاته (كان من بين الأوائل في استخدام الميثولوجيا الإغريقية والمصرية التي كان مدينًا باختياره لها لخليل مطران)، وأيضًا في القوالب الشعرية مجربًا أشكلاً عدة من الشعر غير المقفى والشعر الحر، على الرغم من أن هذه التجارب لم تقدم شيئًا.

ومجلة أبوللو لم تعش طويلاً نسبيًا، ولم يصدر منها إلا<sup>(25)</sup> طبعة فقط بين عامي 1932م و1934م. وهي أول مجلة متخصصة في الشعر في العالم العربي، وعلى الرغم من أن المجلة ربطت فيما بعد بالحركة الرومانسية، ولكن المجلة في الواقع فتحت ذراعيها لعدد من المنهجيات الشعرية، وأحيانًا كانت تنشر شعرًا تقليديًا بحثًا جنبًا إلى جنب مع شعر تجريبي مختلف جذريًا. وكان هدف المجلة، وبالتأكيد الجماعة، ليس إطلاق مشهد شعري واحد بقدر ما كان إيجاد منتدى لأي شاعر مستعد لتقبل الحاجة لتجديد الحياة في الشعر العربي الحديث، وتزويدهم بالدعم المعنوي والمادي. وتتجلى طبيعة هذه الجماعة المفتوحة في حقيقة أن أول رئيس لها لم يكن من الشعراء الطليعيين الذين اشتهروا في ذلك الوقت، ولكن شاعر كلاسيكية جديد هو أحمد شوقي، ويمثل «المدرسة القديمة»، وحل محله حين توفي عام 1932م خليل مطران «ما قبل الرومانسية»، وهو بالضرورة ذو ميول محافظة.



مثلت مجلة أبوللو طوال مدة صدورها، عامين، وحي الكتاب، ليس فقط في مصر، ولكن في عرض العالم العربي أجمع، تواقين ليس فقط لتخطي الأساليب الأدبية التقليدية، ولكن أيضاً للهروب من مناخ سياسي مضطهد في تلك الأيام، وإضافة إلى الشعر الأصيل نشرت المجلة ترجمات وبشكل رئيس من الإنجليزية وأيضاً من الفرنسية، يحتل الشعراء الرومانسيون مثل ووردزورث وكيثس فيها مكان الصدارة. وأكمل محتواها الأدبي عرضاً لمنحوتات ولوحات غربية، بما في ذلك مناظر من الميثولوجيا المصرية والإغريقية التي تعكس ذوق أبي شادي وشركائه، وتعكس موضوعات الشعر المنشور في المجلة. وقد يكون أكثر سمات المجلة إدهاشاً امتدادها الجغرافي، وساعدت أفكار المدرسة الرومانسية على انتشارها في جميع الشرق الأوسط العربي، موفرة متنفساً للشعراء في العراق وشمال إفريقيا والسودان والمهجر، إضافة إلى مصر. ويحق لها أن تدعي أنها مجلة «الطلیعة» للأدب العربي المعاصر.

على الرغم من أهمية الدورية وسمعتها الرفيعة - وهي سمعة استمرت في الذاكرة حتى اليوم - عاشت ظاهرة مجلة أبوللو مدة قصيرة، ولم تشر إلا 25 عددًا، وأسباب سقوطها معقدة، ولكنها تشمل أكثر من الحاجة إلى الدعم المادي، ولكن أيضاً معارضة سياسية من حزب الوفد وغيره، ليس أقلها من جانب عباس محمود العقاد<sup>(21)</sup>، واتسم عمل أبي شادي الأدبي بعد ذلك بخيبة أمل: لم تتل أيُّ من المجلتين اللتين أصدرهما «الإمام» و«المهدي» الشهرة التي نالتها أبوللو. وعام 1946م بعد وفاة زوجته الإنجليزية، وبعد أن اتضح له أنه لم يلقَ الاهتمام الذي يليق به في بلده مصر، هاجر إلى الولايات المتحدة، وكوّن هناك جمعية أدبية، جمعية منرفا، ونشر ديواناً أخيراً «من السماء» عام 1952م.



وسمة أساسية خاصة في عمل أبي شادي هي عدد القصائد التي أوحى بها الرسوم، وهي علامة كما لاحظ روبن أوستل «إلى أي مدى أراد الكاتب أن تكون المهمة الأدبية لجمعية أبوللو عالمية»، (وتجليات أخرى لهذه النظرة المتحررة للأدب العربي يمكن رؤيتها مثلاً في منحوتات محمد مختار ورسوم محمد ناجي)، وأهمية الشاعر لا تكمن كثيراً في شعره، الذي كما أسلفنا من الصعب تقييمه، ولكن في دوره في جمع عدد من المواهب، التي في مجموعها تكون قلب الحركة الرومانسية في اللغة، ليس في مصر فقط، ولكن في العالم العربي بأسره. وقائمة المنتمين إلى الجمعية تشمل كثيراً من الأسماء المعروفة، ليس فقط الشعراء الرومانسيين مثل إبراهيم ناجي (1898 - 1953م) وعلى محمود طه (1902 - 1949م) والتونسي أبي القاسم الشابي (1909م - 1934م) واللبناني إلياس أبو شبكة (1903 - 1947م) والسوداني محمد أحمد المحجوب (1910 - 1976م)، ولكن أيضاً شعراء المهجر إيليا أبو ماضي، وشفيق المعلوف، وشكر الله الجبر، وعدد من الشعراء الذين لا يوصفون بالرومانسيين بما في ذلك أحمد شوقي ومصطفى صادق الرافعي.

من الواضح أن أي محاولة لوضع الشعراء المصريين (أو أي جنسية عربية أخرى) على قائمة تصنفهم على أنهم «رومانسيون» لن تكون جيدة، ليس للتنوع الكبير والتدرج في جودة شعرهم، ولكن أيضاً لأن مصطلح الرومانسية ليس دقيقاً أو مناسباً. ويجمع النقاد وبشكل عام على أن مصر، بغض النظر عن الشعراء الآخرين الذين تتضح موهبتهم بشكل خاص مثل صالح جودت ومحمد عبد المعطي الهمشري (1908 - 1938م)، وصلت فيها إنجازات الرومانسيين إلى ذروتها مع أعمال شاعرين هما علي محمود طه (1901 - 1949م) وإبراهيم ناجي (1898 - 1953م).



وتتداخل أسماء علي محمود طه وإبراهيم ناجي، حتى إنه من الصعب أحياناً التفريق بينهما، ليس هناك شك في شهرتهما المطبقة. وبالتأكيد قد تكون شهرة علي محمود طه<sup>(24)</sup> فاقت شهرة أي شاعر معاصر، ليس فقط في حقبة ما بين الحربين، ولكن أيضاً في أربعينيات القرن العشرين. ويعود ذلك ليس فقط لشعره كما هو، ولكن أيضاً لأن معظم شعره له شعور «شعبي»؛ لكونه شعر لحن وغناء. ولد علي محمود طه في المنصورة وتخرج مهندساً جامعاً - مثل عدد كبير من الكتاب والشعراء العرب - بين نشاطه الأدبي ووظيفته المختصة في مجال مختلف تماماً عن الأدب. وتقل في دول أوروبية عدة، وزار إيطاليا، وألمانيا، وسويسرا، (وهي زيارات لها صدى مباشر في شعره)، وسريعاً اكتسب شهرة بأنه بوهيمي ثائر، وهي شهرة زاداها موته المبكر. ووضع ديوانه الأول «الملاح التائه» (1934م)، اتجاه معظم أعماله اللاحقة؛ لكونه اتسم بالنمط الذاتي الرومانسي وإحساس بالوحدة، وهي سمات عوضت إلى حد ما بلمسات ثائرة جذابة وحسية غير متوارية. وأتبع ديوانه الأول بديوان «ليالي الملاح التائه» (1940م)، و«زهر وقمر» (1943م)، و«الشوق العائد» (1943م). وإضافة إلى الشعر التقليدي، ألف مسرحيات شعرية، بما في ذلك «أرواح وأشباح» (1942م) التي استوحى موضوعها من الأساطير الإغريقية والتوراة و«أغنيات الرياح الأربعة» (1943م).

أما إبراهيم ناجي<sup>(25)</sup> الذي ولد في القاهرة، وتخرج في مدرسة الطب، ولاحقاً جمع بين نشاطه الأدبي وعمله طبياً، وكان معجباً، مثل أبي شادي بشاعر «ما قبل الرومانسية» خليل مطران، وعمل نائباً لرئيس جماعة أبي شادي أبوللو. ونشر ناجي ثلاثة دواوين شعرية هي: «وراء الغمام» (1934م)، و«ليالي القاهرة» (1949م)، و«الطائر والجريح» (بعد وفاته 1957م). وتكشف

أعماله عن معرفة واسعة بالأدب الأوروبية، الفرنسية والإنجليزية والألمانية، إلا أن اهتمامه ينصب في معظمه على الشعر الفرنسي الرومانسي، الذي يبدو تأثيره واضحًا بشكل خاص في ديوانه الثاني «ليالي القاهرة»، وأيضًا على سبيل المثال في رائعة Baudelaire بودلير أزهار الشر *Fleurs du Mal*. وقوة ناجي وتميزه كان في الشعر الغزلي الذي نجح فيه بأن قام بمزاوجة تقاليد الشعر الكلاسيكي العربي مع روح الرومانسيين الأوروبيين بشكل فريد، ويختلف طول قصائده الغزلية، فتجد القطعة الكلاسيكية للقصائد القصيرة تحولت إلى قصائد أطول وأكثر تعقيدًا. ومثل دواوين الشعراء الرومانسيين، تحفل دواوينه بالرسومات التي تحكي قصائده. وقد تكون أكثر ميزة واضحة لموهبته قدرته على الدخول في حوار إبداعي مع التقاليد، وهي ميزة لم تكن منتشرة كثيرًا بين الشعراء الرومانسيين، على الرغم من أنها طورت من قبل الشعراء الكلاسيكيين الجدد عن قصد من قبلهم. على سبيل المثال، قصيدة ناجي «العودة» التي تصف عودة الشاعر إلى المنزل الذي كانت تسكنه حبيبته، هي إعادة دراسة ماهرة للتقليد الكلاسيكي للأسلوب الشعري «النسيب» نقلت بلا جهد إلى القاهرة الحديثة.

وقد يكون أفضل عرض لدور جماعة أبوللو ومجلتها أبوللو في صياغة تقليد رومانسي في حالة تخطي الحواجز هو الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي، الذي لم يكمل مسيرته؛ لوفاته المبكرة بسبب مرض قلبي تنضح به بعض قصائده. ينحدر الشابي من عائلة تقليدية، ووالده كان يعمل قاضيًا، وتلقى الشابي تعليمًا تقليديًا إسلاميًا في جامع الزيتونة في تونس قبل أن يلتحق بالمدرسة التونسية للقانون، وعلى العكس من أقرانه المصريين لم يكن يعرف أي لغة أجنبية، ومعرفته بالصياغة الأدبية الغربية أتت جميعها من



قراءته للترجمة العربية للمقالات الغربية والنقد الأدبي، وعبر قراءته لشعراء عرب آخرين، ومن بينهم شعراء المهجر، الذين كانوا متأثرين بالصياغات الرومانسية الغربية.

ويشتهر الشابي، إذا وضعنا شعره جانباً، أو شهر به بعد محاضراته التي هاجم فيها المؤسسات التقليدية، التي ألقاها عام 1929م في معهد الخلدونية، وفي تلك المحاضرة ناقش الافتراضات التي أسست لجميع الإرث الأدبي للكلاسيكية العربية، ونشرت المحاضرة لاحقاً تحت عنوان «الخيال الشعري عند العرب»، وعلق عليها في عدد مارس عام 1933م في مجلة أبوللو. وموضوعات شعره الرومانسية المتعارفة - الحب، والموت، والنور والظلام - يبدو أنه مفرم بصورة الفجر الجديد، الذي يحتل مكاناً رئيساً في صورته الشعرية، ومثل هذه الموضوعات تزداد حدتها مع مرضه، وأول علامة، التي أصبحت واضحة عام 1929م بمعرفته بموته الوشيك. وبعد إضافة أُعطي لشعره، وهو أن هذه الموضوعات نقلت إلى التونسيين كاملة في وقت كانت فيه تونس ترزح تحت سيطرة قوية وأحياناً مضطهدة من الدولة الفرنسية المحتلة، ونتيجة لذلك سريعاً ما ارتبطت رومانسية الشابي مع القومية التونسية، وبالطبع مع القومية العربية، وبشكل عام يذكر بعض الشعراء الرومانسيين في أوروبا في القرن التاسع عشر. وعُدَّ شاعر تونس الوطني، ووجدت قصائده الوطنية صدق لها في العالم العربي، وبقي معروفاً بأنه أفضل شعراء شمال إفريقيا في العصر الحديث.

وفي السودان؛ وُجِدَتْ أصوات مماثلة مثل التيجاني يوسف بشير ومحمد أحمد محجوب (1910 - 1976م). ومثل كثير من الشعراء المصريين الذين ذكروا، كان محجوب عمل بعيد عن الأدب. كان متمكناً من القانون

والهندسة، وعمل أوقاتاً متفرقة مهندساً وقاضياً ومحامياً، وعمل أيضاً رئيس وزراء في الحكومة السودانية بعد الاستقلال عام 1956م. وعضو في مجموعة «فجر»، ونشر عددًا من الكتب في النثر والشعر، التي تكشف عن وعي عميق بالهوية الثقافية المتلافة.

أما التيجاني<sup>(26)</sup> فعادة يقارن بالتونسي الشابي، فهو مثل الشابي تلقى تعليمًا محافظًا تقليديًا دينيًا، ولم يكن يعرف أي لغة غربية، وتوفي مبكرًا بمرض السُّل. وولد التيجاني لعائلة متدينة ذات علاقات صوفية (وأخذ اسمه من هناك)، ودرس في الخلوة وفي المعهد العلمي بأم دورمان. ومثل محجوب أقام علاقة مع المدرسة السودانية المسماة «فجر»، التي أصدرت مجلة تحمل الاسم ذاته منذ عام 1934م، ويمكن أن ينظر إليه «بوصفه رومانسيًا صوفيًا» لانغماسه في التقليد السوداني الصوفي. وشعره مُشَبَّع بالروحانية بوصفها ملجأ ومفرًا من العالم القاسي حولنا، ولكنه مع ذلك يحمل إحساسًا بالشك الديني، وأيضًا إحساسًا قويًا بالجمال. ومن اللافت أن عنوان ديوانه هو «إشراق».

وفي سوريا؛ أشهر مثال لحركة الرومانسية هو عمر أبوريشة (1910 - 1990م)<sup>(27)</sup> ولد أبوريشة في حلب. ودرس الكيمياء في بيروت ومانشستر، وعلى الرغم من أنه لم يكمل تعليمه، لكن مدة دراسته كان لها تأثير واضح على أعماله، حيث نرى الرومانسية الإنجليزية أكثر من الفرنسية، على الرغم من أنه كان معجبًا بشعراء مثل شيلي Shelley وكيثس وبيرون Byron، وإنه أيضًا كان معجبًا ببودلير. وبعد أن عمل بعض الوقت في مكتبة في حلب، عمل في وظيفة تجمع بين السياسة والدبلوماسية مع اهتماماته الأدبية. وعمل مرات عدة: المبعوث الثقافي السوري للجامعة العربية، وسفيرًا في البرازيل



والهند، وإضافة إلى دواوينه الشعرية الأربعة (شعر 1936م، من عمر أبي ريشة شعر 1947م، ومختارات 1959م، وديوان عمر أبي ريشة 1971م)، ألف أربع مسرحيات شعرية، ومعظم شعره، الذي يبهر القارئ لكونه محافظًا على معايير زملائه الرومانسيين، يمتلئ بثنائية الشعور الجسدي في تضاد مع الحب الأفلاطوني، ولكنه مثل التونسي الشابي وآخرين، كان أيضًا مهتمًا بالقضايا الاجتماعية والسياسية، وقصائد مثل «نصر» تظهر وعيًا واضحًا بالوضع المأساوي الذي وصلت إليه الأمة السورية، والدرجة التي وصلت إليها القومية العربية بعد سلسلة من الهزائم والانكسارات.

ولد معاصر أبي ريشة اللبناني إلياس أبو شبكة (1903م - 1947م) في نيويورك لوالدين لبنانيين نصرانيين، ولكنه ترك الولايات المتحدة في عمر مبكر. ومعظم تعليمه ذاتيًا قام به بنفسه. ونما نهمًا للأدب الفرنسي الذي تجلّى في ترجمته لأعمال موليير Moliere وفولتير Voltaire ولامرتين وآخرين من الفرنسية إلى العربية، وفي دراسته النقدية للامرتين وبودليير وأوسكار وايلد Oscar Wilde. ويبين عمله المبكر «القيثارة» (1926م) تأثير الشعراء العرب الكلاسيكيين فيه مثل أبي نواس. وأتبع هذا العمل بمجموعات أخرى (بعضها يحتوي على قصائد سردية) منها «المارد الصامت» (1928م)، و«أفياء الفردوس» (1938م)، و«غلاء» (1945م) (على الرغم من أنها كتبت قبل ذلك)، والقصيدة الأخيرة أوحى بها خطيبة الشاعر أولجا، ووصفها أوستل بأنها «دون شك من أروع القصائد السردية في الأدب العربي الحديث»، وكان مهووسًا بالحاجة إلى الصدق في الأمور العاطفية، فإن كثيرًا من قصائد أبي شبكة تدور حول موضوعات الحب، والذنب، والإثم، واستمدت من قصص الإنجيل بما في ذلك قصة سدوم وعمومية لتوضيح موضوعاته، وفي دواوينه



اللاحقة بما فيها «الألحان» (1941م) و«إلى الأبد» (1944م) و«نداء القلب» (1944م) و«من سيد الآلهة» (1958م) الذي صدر بعد وفاته، يبدو أن الصراع الداخلي للشاعر خفت إلى حد ما، وأن الشاعر وصل إلى نوع من الانسجام، ووجد طريقة للتعايش مع ذاته.

### الرمزية في الشعر العربي الحديث

صلاح لبكي أحد الرموز المهمة للرومانسية في لبنان (1916 - 1955م). ولد في البرازيل وتربى في لبنان. جمع بين التأثير الرومانسي والرمزي في دواوينه الخمسة التي صدرت بين الأعوام 1936 و1961م. وكما لاحظت الجيوسي<sup>(29)</sup>، ظهور الرمزية في الشعر العربي الحديث ظاهرة ليست سهلة الشرح من ظهور الرومانسية (اللتين تتزامنان تقريباً)؛ لأن العوامل التي أدت إلى ظهور الرومانسية في التقليد الأوروبي يمكن، جزئياً على الأقل، إيجاد مقابل لها في الأدب العربي، أما بالنسبة للرمزية فليس هناك مقابل واضح يمكن رسمه. أياً كان، فمن الواضح أن الحركتين متصلتان، والعناصر الرمزية، بتركيزها على النغمة الموسيقية والمعاني والجمال من أجل الجمال ذاته، واضحة عند عدد من الشعراء الذين ذكرناهم سابقاً، والذين جميعهم تقريباً دون استثناء يصنفون على أنهم «رومانسيون»، بما في ذلك كاتب المهجر جبران والتونسي الشابي والمصري الهمشري. ويبدو أن أوضح استخدام لأساليب الرمزية<sup>(30)</sup> هو ظاهرة لبنانية بشكل رئيس، وأول شعر رمزي متكامل في العربية يعود الفضل فيه إلى أديب مظهر (1898 - 1928م). بعد أن قرأ مظهر، وهو أحد أفراد عائلة معلوف المعروفة، شعر كتاب فرنسيين مثل بودلير وبيرسامان Pierre Saman بدأ بنظم قصائد رمزية بالعربية في



عشرينيات القرن العشرين، وقصائده التي كان أولها «نشيد السكون» عدت دائماً أول قصيدة رمزية بالعربية توضح بشكل جلي معرفة بأعمال بودلير، وتتسم بهوس غيبي غامض بالموت.

أوقف الموت المبكر عمل مظهر الشعري الواعد، ولكن استمر الاهتمام بالأساليب والمواقف الرمزية التي أخذ بها من قبل عدد من الشعراء الآخرين مثل يوسف غصوب (1893 - 1971م) وسعيد عقل (1912 - ...م)، ومثل صلاح لبكي كانت أعمال غصوب كما تصفها الجيوسي باهتمام «رمزية معتدلة»<sup>(31)</sup> عبر الحواجز بين الرومانسية والرمزية، ومثل الشعراء الرمزيين عموماً، تتسم أعمال غصوب برغبة قوية لدى الشاعر لفصل ذاته عن الموضوعات الاجتماعية العامة، وبالطبع الجيوسي<sup>(32)</sup> تحتفظ له بأنه «أول شاعر بدأ تقليد الفن من أجل الفن، ليس فقط في لبنان، ولكن في الشعر العربي عامة». وهو ادعاء قوي، وقد يستدعي تمحيصاً أكثر وأعمق.

وأعمال سعيد معروفة أكثر من أعمال غصوب أو مظهر، وتستند شهرته على مكانته بوصفه شاعراً رائداً للرمزية العربية في وقته، إن لم يكن رائد الرمزية بأسرها في العالم العربي. وعقل نصراني درس القرآن الكريم؛ لبلاغة القرآن الأدبية إن لم يكن للأفكار المطروحة فيه، يكمل عقل تقليداً له جذور بين اللبنانيين النصارى في القرن التاسع عشر المناصرين للنهضة. وتكشف أعماله، بعضها بأشكال درامية، عن تأثرها بشعراء القرن التاسع عشر الفرنسيين مثل مالارم Mallarme وبول فاليري Paul Valery. وأهم أعمال عقل، المجدية (1937م)، المأخوذة عن قصة مريم المجدية ولقائها المسيح، وكتبها في وقت مبكر من عمله الأدبي. وعلى الرغم من أن شهرته استمرت في أربعينيات القرن العشرين، لكنه موقفه من التجرد الفني والتركيز على

الجمال الشعري من أجل الجمال ذاته، الذي كان في صميم الفلسفة الرمزية سرعان ما أظهره على أنه متأخر عن الأجواء الأدبية الجديدة والسياسية لتلك المرحلة اللاحقة للحرب العالمية الثانية. ولم يصل أي عمل من أعماله الشعرية المتأخرة، (وتشمل قصائد مثل رندالا 1950م، وأجمل منك لا 1960م) إلى تأثير الجدلية. وبغض النظر عن التركيز النمطي الرمزي على الحب والجمال في معظم أعماله، لكن سعيد عقل كان متحدثاً في مناسبات عدة عن القومية اللبنانية، على سبيل المثال في مسرحيته الشعرية «قادموس» (1944م). وقد جرب الشعر العامي في قصيدة «يارا» (1960م) التي استخدم فيها شكلاً مخففاً من الكتابة الرومانسية بوصفها وسيلة لكتابة العربية، ولكن أسلوبه الإملائي الركيك لا يعني اليوم شيئاً سوى الغرابة. ومن الشعراء الآخرين الذين قد يصنفون في الاتجاه نفسه الشاعر المصري بشرف فارس (1907م-1963م)، والشاعر السوري أوركازان ميسر (1911م-1965م)، وعلي الناصر الذي نشر عام (1947م) ديواناً أسماه «سيريال» وصفته الجيوسي «من المحتمل أن يكون أكثر عمل طليعي تجريبي شعري في الشعر العربي الحديث قبل حركة الشعر الحر في نهاية الأربعينيات»<sup>(33)</sup>.

كان اهتمام هؤلاء الشعراء الرمزيين العرب الأوائل مثل عصب ومظهر وسعيد عقل هو البحث عن صدى في حقبة بعد الحرب العالمية الثانية، حين أعاد الشعراء المهمون مثل يوسف الخال و خليل حاوي وأدونيس (علي أحمد سعيد) اكتشاف المصادر الفرنسية في سياق بنائي مختلف بعد إدخال الشعر الحر، وتجدد الاهتمام بالشعر المنثور. وتنتمي جهود هؤلاء الشعراء إلى حقبة لاحقة؛ لذلك سوف نناقش هذا الموضوع في الفصل المقبل. وفي هذه الأثناء من المغربي أن نقول: إنه بمقارنة أعمال الرمزيين من هؤلاء، مثل سعيد عقل



بالاتجاه العام وشعراء المهجر الرومانسيين وأعمال كتاب متأخرين للشعر الحر، فإن أعمال الرمزيين لم تلقَ الدراسة الكافية، وهي الآن جاهزة لإعادة تقييمها.

### مراحل الرومانسية الأخيرة والاتجاه نحو الحديث

على الرغم من رغبة كثير من المتصقين بالحركة الرومانسية في التخلص من التقليد الشعري الكلاسيكي، لكن كثيرًا من الشعر الرومانسي استمر في الالتزام كثيرًا بالبناء التقليدي للعروض والقافية، حتى عندما وضعت صيغة المقطع في محاكاة للنموذج الأوروبي، واتسمت هذه المقاطع عادة بالبناء المنتظم الذي كان بالضرورة محافظًا معطيًا شعورًا بالنظام والتحكم. وظهر تغير رئيس في اللغة والصور الجمالية عن العادات القديمة لفكر الكلاسيكية الجديدة، ويمكن ملاحظة هذا التغير بوضوح. وأنتج الاتجاه الجديد، على أيدي أفضل الشعراء الموهوبين، عددًا من الأعمال التي انتشر فيها النشيد الغنائي الجديد وبساطة اللغة إلى حد كبير. وفي الوقت نفسه، على أيدي الشعراء الأقل موهبة، أدى استبطان الشاعر مشاعره ودوافعه، إضافة إلى الأسلوب الجديد، إلى وجود منشورات تكون فيها وحدة الشاعر وشوقه وأفكار مطروحة مثل المجهول تعطي إحساسًا بالهروب الأدبي.

والسؤال الذي طرح كثيرًا هو: إلى أي مدى كانت ظاهرة الرومانسية العربية محاكاة مباشرة للرومانسية الغربية؟ وإلى أي مدى ظهرت بوصفها نتيجة مباشرة للتغيرات السياسية والثقافية التي ظهرت في الشرق الأوسط في الحقبة اللاحقة للحرب العالمية الأولى؟ مما لا شك فيه أن الرومانسية بشكل عام أظهرت بامتياز الحقائق السياسية للعصر. وتبع الحرب العالمية الأولى



سريعاً انحلالُ الإمبراطورية العثمانية، ولكن استمرت سيطرة الاستعمار الغربي القوية على معظم أجزاء العالم العربي، ولم تجد العواطف العربية القومية تعبيراً حقيقياً لها. ودعم البحث عن سبل جديدة للتعبير عن الهوية العربية محرّكاً طبيعياً للكتاب عن أدوات جديدة للتعبير، وأدب الرومانسية الغربية - بحد ذاته - هونتاج للتوتر بين الفرد والمجتمع من حوله - أوجدت تركيزاً طبيعياً للكتاب المستميتين لإلقاء التقاليد الأدبية جانباً، التي أبقت عليها الكلاسيكية الجديدة بشكل كبير.

الألم الشخصي للرومانسيين العرب مدة الحرب تجلى في رغبتهم في إيجاد عالم سلام وهدوء خلف السحب، ومن هنا تحدثوا عن الأهمية الظاهرة للقادة السياسيين في المنطقة. وأدت تجربة الحرب العالمية الثانية والتغيرات الدرامية المختلفة في العالم العربي التي ترافقت مع فقدان فلسطين عام 1948م، وانتهاء الحكم الملكي في مصر عام 1952م، إلى بروز علامات من عدم الصبر ونوع من الهروب إلى الخيال، التي بدا أن الحركة الرومانسية تلوح بها، أشار لويس عواد مثلاً إلى أن شاعر الإنجليزية شيلي لم يكن رومانسياً فقط، ولكن مصلحاً سياسياً أيضاً.

كما سنرى في الفصل المقبل أن الحالة النفسية الجديدة «للانشغال» السياسي تتطلب عادة تحولاً في التركيز إلى شيء يمكن تسميته «الواقعية الاجتماعية» يترافق مع تحولات بنائية أساسية في التعبير الشعري، وصيغة جديدة من التجريب مع أشكال عدة من «الشعر الحر» والشعر المنثور، معبراً بشكل شعري عن الحاجة إلى بنية جديدة في المجتمع والثقافة العربية. وبغض النظر عن الطبيعة المتطرفة للتغيرات التي جرفت المشهد العربي الشعري، فإن سقوط الرومانسية كان عملية تدريجية أكثر منها سقوطاً سريعاً.



بدلاً من ذلك استمر تأثير الحركة الرومانسية واضحاً في الأعمال المبكرة لشعراء هُـلَّ لهم بعد ذلك، وعُدُّوا رواداً في حركة الشعر الحر، ومن هؤلاء الشاعر العراقي بدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، ونازك الملائكة، والفلسطينية فدوى طوقان، أخت الشاعر الكلاسيكي الجديد إبراهيم طوقان الذي ذكرناه سابقاً<sup>(34)</sup>. ولهذا السبب حدد بعض النقاد ومنهم مصطفى بدوي طبقة مختلفة من «الرومانسيين المتأخرين»<sup>(35)</sup>، ومنهم نازك الملائكة وفدوى طوقان، وأيضاً أسماء مثل الشاعر المصري كمال نشأت (1923م) والشاعرة والناقدة الفلسطينية سلمى خضر الجيوسي، والمثير للاهتمام، الشاعر السوري نزار قباني (1923 - 1998م).

ومن بين هؤلاء الشعراء، فإن نزار قباني هو الأكثر شعبية بين الشعراء العرب، وقدم أفضل مثال على ظاهرة الرومانسية المتأخرة، ودليلاً ثقافياً لخفوتها. ولد في دمشق في ظروف جيدة. درس القانون وعمل بعد ذلك بعشرين سنة دبلوماسياً في الخارجية السورية، قبل أن يستقيل عام 1966م ويكرس حياته للأدب والصحافة. واستقر في بيروت، وأسس بعد ذلك مؤسسته الخاصة لنشر أعماله. وبنى قباني لنفسه شهرة بأنه شاعر الحب مع إصدار ديوانه الأول «قالت لي السمراء» (1944م)، مستخدماً لغة واضحة وقوية في وصف جمال المرأة بطريقة لامست وترًا حساساً في القراء عبر العالم العربي. وتبين دواوينه اللاحقة «أنت لي» (1950م) و«قصائد» (1956م) و«حبيبتي» (1961م) و«الرسم بالكلمات» (1966م) تنقيحاً تدريجياً لهذه الرؤية «المراهقة»، مبدئياً إلى حد ما نظرة أكثر نضجاً للحب والعلاقات بين الجنسين، وهي علاقة ظهرت في شعره المتأخر بوصفها علاقة متكافئة. ويحتمل أن وراء نظرتة الناشئة وعياً سياسياً واجتماعياً يجد أحياناً تعبيراً في

قصائد مثل «خبز وحشيش وقمر» (1955م) التي يهاجم بها المجتمع العربي المعاصر أو العالم، وبعد هزيمة العرب في حرب الأيام الستة مع إسرائيل اتخذ التغيير الجذري طريقه، ناشراً عدداً من القصائد التي من أشهرها «هوامش على دفتر النكسة»، مهاجماً بغضب ونفاق الطبقة الحاكمة، وهو التزام سياسي وجد لاحقاً موضوعات له في الحرب الأهلية اللبنانية 1970م-1990م، وفي الانتفاضة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي.

من الصعب التفكير في علامة أوضح من «مذهب» القباني «للأدب الملتزم» بقضية للتحويل الجذري في المواقف الأدبية والثقافية التي سببها هزيمة 1967م، وهو تحول، كما سنرى في الفصول المقبلة، وجد تعبيراً له ليس فقط في الشعر، ولكن أيضاً (قد يكون أوضح) في أدب النثر (الرواية). وفي هذا الوقت، مرت التقاليد البنائية وعروض الشعر العربي الحديث بتغيير رئيس مع انتشار «الشعر الحر» عبر العالم، وهي ظاهرة سوف نلتفت إليها في الفصل المقبل.



## ملاحظات

- 1 - كما يستخدم أحياناً القالب الرومانسي بهذا المعنى.
- 2 - EAL, VOLUME 2, P.828, s.v. 'poetry, modern'.
- 3 - انظر فوزي عبدالرزاق، ط باقات من المطبوعات العربية الصادرة في الأمريكتين عالم الكتب 4 (1991) ص 546 - 76.
- 4 - المرجع السابق.
- 5 - وتشمل أسماء أخرى لهذا الأسلوب: الشعر الحر والمطلق والطلق. وانظر أيضاً ص 131-133.
- 6 1st edn, New York, 1923. Disentangling Jubrān's works written in English and subsequently translated into Arabic from those written in Arabic and translated into English is not always easy. For a list, see S. Bushrui and J. Jenkins, *Kahlil Jibrān: Man and Poet*, Oxford, 1998.
- 7 See, for example, the dustjacket ibid.
- 8 - جبران خليل جبران. بيروت، 1932، النسخة الإنجليزية، خليل جبران، نيويورك. 1950.
- 9 - بيروت، 1959-60.
- 10 - شعر مهموس.
- 11 For whom, see David Semah, *Four Egyptian Literary Critics*, Leiden, 1974.
- 12 - نشر ديوانه الكامل في أربعة مجلدات في القاهرة، 9-1948.
- 13 - انظر ص 106-105.
- 14 - انظر ص 178-175.
- 15 - الأخطل شاعر أموي (640 ق.م - 710 ق.م) واشتهر بشعر النقائض.
- 16 - على سبيل المثال رواية عودة الروح ومسرحية أهل الكهف اللتان نشرتا عام 1933 انظر ص 193-195. وص 295-297.
- 17 For a discussion, see Pierre Cachia, *Taha Husayn*, London, 1956.
- 18 - انظر ص 106-105.
- 19 Jayyusi, *Trends and Movements*, p. 381.
- 20 - المرجع السابق.
- 21 For whom, see David Semah, *Four Egyptian Literary Critics*, Leiden, 1974, pp. 3-65; J. Brugman, *An Introduction to the History of Modern Egyptian Literature in Egypt*, Leiden, 1984, pp. 121-38, etc.
- 22 See Robin Ostle, 'Modern Egyptian Renaissance Man', *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, 57 (1994), pp. 184ff.

- 23 For whom, see Jayyusi, *Trends and Movements*, pp. 388-94.  
24 For a longer discussion, see Badawi, *A Critical Introduction*, pp. 137-45.  
25 For a longer discussion, see Badawi, *A Critical Introduction*, pp. 129-37.  
26 For whom, see Jayyusi, *Trends and Movements*, pp. 452-74.  
27 See Badawi, *A Critical Introduction*, pp. 172-8.  
28 - EAL, s.v. 'Abu Shabaka, Ilyas'.  
29 Jayyusi, *Trends and Movements*, p. 475.  
30 - وصلت الرمزية، التي توجد أيضا في الرسم والمسرح، أوجها في أوروبا في تسعينيات القرن التاسع عشر، وتتميز بسعيها إلى تحرير الشعر من القيود التقليدية من خلال استخدام أساليب مثل الاستعمال المعقد لاستعارة مشخصة والتزامنية (التعبير عن انطباع باستخدام تعبيرات تختص بشيء آخر مختلف).  
31 Jayyusi, *Trends and Movements*, p. 481.
- 32 - المرجع السابق ص 486.  
33 - المرجع السابق ص 514.  
34 - انظر ص 101-102.
- 35 Badawi, M. M., *An Anthology of Modern Arabic Verse*, Beirut, 1969, pp. xxxiv-xxxv.

